من نفائس مخطوطات خزانة ابن يوسف بمراكش :

"كتاب الفرق بين الحروف المشكلة"
لابن السِّيد البَطَلْيوسي
444 - 521 هـ

محمد عز الدين المعياس الإدريسي

توطئة :

لا اخال المرء يكون مبالغا إذا قال : إن ابن السِّيد البَطَلْيَوْسِي خير من يمثل علوم ومعارف عصره في الأندلس، فقد كان متعدد المواهب متسع الأفق له في كل مجال من مجالات المعرفة قدم راسخة وحجة بالغة فهو محدث، فقيه، فيلسوف، نحوي، لغوي، أديب، شاعر...

يقول عنه معاصره الفتح بن خاقان : «...وهو اليوم شيخ المعارف وإمامها ومن في يديه مقودها وزمامها، لديه تنشد ضوال الأعراب وتوجد شوارد الاعراب...»[1].

---

1) أحمد المقري : أزهار الرياض في أخبار عياض 106/3 طبعة صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة 1395 ـ 1978.

ويقول : «... وله تحقق بالعلوم الحديثة والقديمة وتصوف في طرقها المستقيمة ما خرج بمعرفتها عن مضمار شرع ولا نكّب على أصل للسنة ولا فرع. وتواليفه في الشروحات وغيرها صنوف، وهي اليوم في آذان الأيام شنوف.»[2].

وان رجلا يصبح شيخا للمعارف في عصر وبيئة يعيش فيها أمثال ابن باجه وابن العربي المعافري وابن عطية الأندلسي، وابن مضاء، والاعلم الشنتمري، وابن الطراوة وابن الباذش وغيرهم لجدير بالتقدير والإكبار.

على أنه إذا كان ابن السِّيد البَطَلْيَوْسِي قد برز في كل مجالات المعرفة وتفوق إلا أن أخصب جوانب ثقافته كان هو الجانب اللغوي.

يقول الضبي : «...إمام في اللغة والآداب سابق مبرز وتواليفه دالة على رسوخه واتساعه ونفوذه وامتداد باعه»[3].

ومن هذا الجانب نختار أحد كتب ابن السيد الذي تحتضن خزانة ابن يوسف بمراكش نسخة نفيسة منه تحت رقم 134 في (78 ورقة).

كتاب الفرق بين الحروف المشكلة

يعرف هذا الكتاب بين الدارسين والباحثين باسم، الفرق بين الحروف الخمسة، وهو العنوان الذي تحمله نسخة خزانة القرويين بفاس رقم 538 مكرر ضمن مجموع من 131/ظ إلى 207 و)[4] وغيرها من النسخ

---

2) نفسه.

3) الضبي : بغية الملتمس ص 337 ـ دار الكاتب العربي.

4) يرمز حرف (ظ) إلى ظهر وحرف (و) إلى وجه ومن الباحثين من يستعمل بدل ذلك (أ)، و (ب).

المعروفة، لكن الملاحظ هو أن نسخة ابن يوسف تحمل اسم الفرق بين الحروف المشكِلة (بكسر الكاف).

والنسخة منقولة من نسخة ابن السيد نفسه ومقروءة عليه كما سيأتي

الناسخ وتاريخ النسخ :

ناسخه هو الفقيه أبو العباس أحمد بن [عـ.....] بن [هـ.....] اللخمي أما تاريخ نسخه فهو عام 515 هـ بمدينة بلنسية.

توجد على وجه الورقة الأولى إجازة ابن السيد بخطه لناسخها ونصها : «قرأ علي الفقيه أبو العباس أحمد بن [عـ.....] بن [هـ.....] اللخمي سلمه الله جميع هذا السفر وأجزته له فليروه عني وكتبه عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي [مو.....] بخطه في ذي القعدة سنة خمس عشرة ومائة».

حاولت التعرف على اسم الناسخ الكامل في عدد من المظان فلم أستطع الوصول إلى شيء يفيد القطع في ذلك، لكنني عثرت على اسم أرجح أن يكون هو المعني. وهو أحمد بن عثمان بن هارون اللخمي غَرْناطي أبو جعفر وأبو العباس عاصر ابن السيد وروى عن بعض شيوخ بلنسية ورحل حاجا فلقيه بالأسكندرية أبو طاهر السلفي..»[5].

ويؤكد هذا الترجيح عندي حرفا العين والهاء الواضحان في إجازة ابن السيد لناسخ الكتاب كما تقدم....

---

5) المراكشي الأنصاري : الذيل والتكملة تحقيق د.محمد بنشريفة القسم الأول من السفر الأول ص 286 ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان.

أما تـاريخ النسخ فهو أواخر العصر المرابطي وبـالضبـط زمن علي بن يوسف بن تـاشفين، وفي الفترة التي استقر فيهـا ابن السيـد ببلنسيـة ليتفرغ لخدمة علوم الدين والعربيـة بعيـدا عن الحكام وأصحـاب السلطـان، وذلـك سنة 515 هـ.

أهمية الكتاب :

يبدو أن قيمة هـذا الكتـاب تكمن في عـدة جوانب فهو يستمـدهـا من مضمونه ومن منهجه وطريقتـه كما يستمـدهـا من زمنـه الـذي ألف فيـه ومن صاحبه الذي ألفه

أ ـ مضمونه : يعد كتاب الفرق لابن السيد معجما لغويا هـامـا جمع فيه صاحبه كل غريب كما قـال ابن خلكان في الوفيـات، وفي نشره وتحقيقـه إضافة جديدة إلى ما لدينا من معاجم لغوية[6] بالإضافـة إلى أنـه يـذكر في

6) يذكر بروكلمان أن كتاب ابن السيد في الفرق بين الحروف الخمسة نشر في مجلة الدراسات الشرقية الألمانية (انظر مجلة «المورد» العراقية المجلد 6/ع1 1397 هـ ـ 1977م ص 85.
ـ وتجدر الإشارة إلى أن الدكتور حمزة عبد الله النشرتي قام بتحقيق ورقات من كتاب الفرق لابن السيد تحت عنوان : «صفحات محققة من كتاب : ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة وهي الظاء والضاد والذال والصاد والسين وذلك بمجلة «كلية اللغة العربية» السعودية العدد 8 س 1398 هـ ـ 1978م (من ص 134 إلى ص 179).
بدأ من أول الكتاب : الحمد لله الذي باسمه يبدأ الذكر ويختم وانتهى عند الفظا والفضا من باب ذكر الحروف المزدوجة من الظاء والضاد مما لاشركة فيه للذال.
ـ كما تجدر الإشارة إلى أن الأستاذ علي عبد الحسين قام في السنوات الأخيرة بتحقيق كتاب الفرق لابن السيد ونال به شهادة الماجستير بتقدير (جيد جدا) كما أخبرني بذلك فضيلة الدكتور صلاح الفرطوسي.

متنه جماعة من أئمة اللغة العربية أمثال، الخليل، والمبرد، والأصمعي، وابن دريد، وأبي علي القالي وأبي عبيدة، وأبي عمرو والشيباني وغيرهم ممن لم تصلنا آثارهم كاملة وكمثال على ذلك تلك النقول على البارع لأبي علي القالي المكتوبة بحواشي نسخة القرويين من مختصر العين للزبيدي التي يُظن أنها من عمل ابن السيد البطليوسي وقيمة هذه النقول وأهميتها تكمن في كونها تحتفظ بقدر هام مما ضاع من البارع كما يؤكد الدكتور عبد العلي الودغيري،[7] ويبدو أن كتاب الفرق لابن السيد يتضمن الكثير من هذا القبيل.

وموضوع كتاب ابن السيد هو الفرق بين الحروف الخمسة كما يتضح من عنوانه الكامل : «كتاب الفرق بين الحروف المشكلة من حروف المعجم الظاء والضاء والذال والصاد والسين» وقد وهم من ذكر الشين بدل السين كما في هداية العارفين للبغدادي 454/1 ورغم أن ابن السيد يشترك مع من سبقوه إلى التأليف في الفرق بين الحروف ومن جاءوا بعده في حرفي الظاء والضاد فإنه يكاد ينفرد فيما وصلنا من تراث الفرق بين الحروف بالتأليف في الحروف الخمسة : الظاء، الضاء، الذال، الصاد، السين.[8] وليس فيما أعلم من ألف في هذه الحروف مجتمعة إلى جانب ابن السيد خاصة من سابقيه غير

7) عبد العلي الودغيري :المعجم العربي في الأندلس (مجلة «عالم الفكر» الكويتية المجلد 12 عدد أبريل / مايو / يونيو 1981م ص 104.

8) هناك تآليف في غير هذه الحروف ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون 1255/2 منها : الفرق بين الراء والعين لأبي سعيد محمد بن علي الجاواني (468 ـ 561) وذكر ابن خير في فهرسته ص 385. منها الفرق بين الراء والعين للرئيس أبي الفضل أحمد بن علي بن الفضل بن الفرات الدمشقي.

أبي الفهد النحوي البصري (تـ 320 هـ) ذكره ابن خير الأندلسي في فهرسته ص 363 وهو كتاب لا نعرف إلى أين طوحت به يد الزمان.

وعندما نقارن بين مضمون كتاب ابن السيد وبعض المضامين الأخرى في الموضوع ككتاب الضاد والظاء لابن سهيل النحوي (ق 5 هـ)[9] وكتاب زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء لأبي البركات بن الأنباري (ق 6 هـ)[10] وغيرهما نجد أن كتاب ابن السيد أعمق منها وأوسع بكثير بحيث لا مجال للمقارنة بينها وبينه.

ونجد السيوطي في المزهر ينقل عن كتاب الفرق لابن السيد في أكثر من موضع ج 469/1، 563 ـ ج 94/2 دون أن ينقل عن غيره باستثناء الاعتضار لابن مالك في موضع واحد ج 282/2[11].

وقد ألف ابن السِّيد البَطَلْيَوْسِي كتابه هذا تحت تأثير الحاجة الماسة إليه كما قال: «هذا كتاب قصدت فيه ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة التي يغلط فيها كثير من خواص الناس فضلا عن عوامهم» الورقة 1/ط.

منهجه وطريقة تأليفه :

يخلو كتاب الفرق لابن السيد من الحشو الذي لا طائل تحته، فهو يتصدر للمفردات فيشرحها شرحا وافيا وفي سبيل صحة دعواه يلجأ أحيانا

9) انظر تحقيق الدكتور عند الحسين الفتلي لهذا الكتاب في مجلة «المورد» العراقية المجلد الثامن ـ العدد الثاني 1399 هـ ـ 1979م ص : 285 ـ 321.

10) قام بتحقيق هذا الكتاب د. رمضان عبد التواب. دار الأمانة / مؤسسة الرسالة بيروت ط 1391 هـ.

11) السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها تحقيق : محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي دار إحياء الكتب العربية ط 1378/4 هـ ـ 1988م.

إلى النقل والرواية القائمة على استقراء النصوص القديمة الفصيحة شعرا ونثرا، ويعتمد أكثر ما يعتمد على القرآن والشعر القديم وأقوال علماء اللغة.

وقد قسم ابن السيد كتابه هذا إلى خمسة أبواب وفي ذلك يقول : «هذا كتاب قصدت فيه ذكر المفرق بين الأحرف الخمسة التي يغلط فيها كثير من خواص الناس فضلا عن عوامهم، وهي الظاء والضاد والذال والصاد والسين بوبته خمسة أبواب أولها باب الظاء والضاد والدال والثاني باب الظاء والضاد والثالث باب الظاء والذال والرابع باب الضاد والذال والخامس باب الضاد والسين [....] ووجد لبعضه قياسا يعين على ضبطه فنبهت عليه وأما أكثره فلا قياس له وإنما يضبط بالحفظ» الورقة الأولى / ظ.

ويستفاد من كلام ابن السيد أنه اقتصر على المفردات المستعملة المعروفة دون سواها، وانه كان في إمكانه لو أراد الاستقصاء أن يأتي بالشيء الكثير....

«ولم يكن غرضي حصر النوع كله واستيعابه فقصدت إلى المستعمل المشهور وأضربت عن كثير من الحواشي...» نفس الورقة.

ويقول في آخر ورقة من الكتاب : «قد ذكرنا أعزك الله من هذا النوع الذي قصدنا إليه ما فيه كفاية ولو ذهبنا إلى تتبعه وتقصيه لطال جدا وأمل الناظر فيه».

أما طريقة معالجة ابن السيد للمادة اللغوية التي قدمها فهي أنه يذكر من كل حرف كلمة ثم يشرحها ويذكر معانيها واستعمالاتها ثم يذكر القياس في ذلك إذ وجد مثلا (العطب، العضب، العذب).

وبعد أن يفرغ من الحروف باتفاق اللفظ واختلاف المعنى كالتي تقدمت يوردها باتفاق اللفظ والمعنى إذا كان من ذلك شيء مثل : (نابض، نابذ).

ثم يذكر بعد ذلك ما اشتهر به كل حرف دون سواه، ويسير على هذا المنوال إلى آخر الكتاب.

وحتى تتضح طريقة ابن السيد في هذا الكتاب أكثر أقدم هذا الفهرس العام للموضوعات كما استخرجته منه.

الباب الأول : الظاء والضاد والذال باتفاق اللفظ واختلاف المعنى[12].

الباب الثاني : باب الحروف المزدوجة من الظاء والضاد مما لا شركة فيه للذال

- الظاء والضاد باتفاق اللفظ والمعنى.

الباب الثالث : باب ذكر الحروف المزدوجة من الظاء والذال مما لاشركة فيه للضاد

- الظاء والدال باتفاق اللفظ والمعنى.

الباب الرابع : الضاد والذال باتفاق اللفظ والمعنى.

- ما يكتب بالظاء من الألفاظ المشهورة.

---

12) قدم الدكتور حمزة عبد الله في تحقيقه لورقات من كتاب الفرق لابن السيد (الظف والضف والذف) على (الافظاظ والافضاض والافذاذ) والعكس هو الصحيح كما في نسخة ابن يوسف (انظر ترتيب د.حمزة في مجلة كلية اللغة العربية (السعودية) عدد 8 ص 154).

- ما يكتب بالضاد من الألفاظ المشهورة.
- ما يكتب بالذال من الألفاظ المشهورة.

الباب الخامس : الفرق بين الصاد والسين[13].

• باب ذكر الألفاظ المزدوجة والمتناظرة من الصاد والسين.

باتفاق الابنية واختلاف المعاني.

- الصاد والسين باتفاق اللفظ والمعنى.

• باب ما ينقاس من هذا الباب وما هو موقوف على السماع.

- ذكر الألفاظ التي لا نظائر لها.

• باب ما يكتب بالصاد مما لا نظير له في السين.
• باب ما يكتب بالسين مما لا نظير له في الصاد.

ج - قيمة الكتاب على المستوى الزمني

تظهر قيمة هذا الكتاب على المستوى الزمني يكون أوائل القرن السادس الهجري كانت امتدادا لفترة ازدهار الدراسات اللغوية بالأندلس التي عرفت نشاطا عظيما منذ دخول أبي علي القالي (تـ 356 بقرطبة) إلى الأندلس والذي كان لكتابه البارع في اللغة أثر كبير على الدراسات اللغوية في الأندلس.

13) يأخذ الفرق بين السين والصاد من كتاب ابن السيد القسم الأكبر حوالي 70 ٪.

وقد قام تلامذة القالي المباشرين وغير المباشرين بنشر علم القالي ومنهجه وإشاعته بين الناس أمثال : الزبيدي، وابن القطوطية، والفهري والأخوين ابني ابان بن سيد من المباشرين. وأمثال البكري وابن السيد البطليوسي والأعلم الشنتمري وابن سيدة المرسي من غير المباشرين[14].

وقد أشرت سابقا إلى مدى اهتمام ابن السيد بكتاب البارع وكثرة نقوله عنه...

د ـ مؤلفه :

أما مؤلفه ففي غنى عن التعريف ولعل علمه ومكانته اللذين ألمحت إليهما في مدخل هذا الموضوع المتواضع كافيان للدلالة عليه.

نماذج من كتاب الفرق لابن السيد :

(1) ـ ظَلَّ وَضَلَّ وَذَلَّ : يقال : ظل فلان يفعل كذا وكذا بالظاء إذا فعله نهارا وبات يفعل كذا وكذا إذا فعله ليلا هذا هو المشهور، وقد استعمل ظل في جميع الأوقات قال الله تعالى : ﴿**فظلت أعناقهم لها خاضعين**﴾[15] وقال : ﴿**فظلتم تفكهون**﴾[16] فهذا عموم لم يخص به نهار دون ليل، وأما ضَلَّ بالضاد فيكون بمعنى تحيَّر ويكون بمعنى أخطأ كقوله تعالى : ﴿**لا يضل ربي ولا ينسى**﴾[17] ومنه قول طرفة :

---

14) انظر عبد العلي الودغيري : عالم الفكر المجلد 12 ص 77.

15) الشعراء : 4.

16) الواقعة : 65.

17) طه : 52.

وكيف يضل القصد والحق واضح   وللحق بين الصالحين سبيل[18]

وتكون أيضا بمعنى غاب وتَلِف يقال : ضل الماءُ في اللبن وضل الرجل في الأرض قال الله تعالى : ﴿**وقالوا ايذا ضللنا في الأرض**﴾[19] وأما ذَلَّ بالذال فله ثلاثة معان : يقال : ذَل الرجل إذا انقاد لعدوه وهو ضد عز وذلت الدابة لراكبها إذا لم تعاسره ولم تصعب عليه. وذل الطريق للماشي إذا سهل ولم تعترضه فيه حُزونة يشق عليه المشيء فيها. يقال من المعنى الأول رجل ذليل بَيِّنَ الذل بضم الذال ومن المعنيين الآخرين ذَلول بين الذل بكسر الذال وقياس هذا الباب إن كل شيء كان معناه راجعا إلى الإقامة أو إلى معنى الستر والتغطية فهو بالظاء، وما كان معناه راجعا إلى الحيرة والخطأ أو الهلال أو التلف فهو بالضاد وما كان معناه راجعا إلى معنى الانقياد والسهولة فهو بالذال.

الظِّل والضِّل والذِّل : الظل بالظاء أصله الستر ومنه قيل ظل الشمس لما سترته الشخوص من مسقطها ومنه ظل الجنة وظل شجرها إنما هو سترها ويقول الرجل للرجل أنا في ظلك أي في ذراك وسترك، وظِل كل شيء خياله الذي يُرى له يقال لا يفارق ظل ظلك حتى تنصفني، وظل الثوب زيبِرُه وظِل الليل سواده لأنه يستر كل شيء قال دو الرمة :

قد أعسف النازِح المجهول معسفه   في ظل أخضر يدعو هامةَ اليومُ[20]

---

18) طرفة بن العبد البكري : ديوان طرفة مع شرح الشنتمري، ص 78 ـ باريس 1900م.

19) السجدة : 10.

20) ذو الرمة : ديوان شعر ذي الرمة تصحيح كارليل مكارتني ص 574 / مكتبة المثنى بغداد / عن طبعة كمبردج 1919 وقد جاء البيت كالتالي :

قد أعسفُ النازحَ المجهول معسِفَهُ   في ظل أغضَفَ يدعو هامه اليومَ

ويعني بالأخضر ها هنا الليل، وأما الضِّل بالضاد فالداهية يقال أنه يضِل اضْلال وصِلٌ اصلال بالضاد والصاد أي داهية دواه، ويقال أيضا ضُل أضْلال بالضاد معجمة مضمومة حكى ذلك اللحياني فإذا قيل بالصاد غير معجمة فالكسر لا غير، واصل الصل الحية التي تقتل من ساعتها إذا نهشت قال النابغة :

ماذا رُزئنا به من حية ذَكَر   نضناضة بالرَّزايا صِلٍّ أصْلالِ[21]

والذِّل بالذال ضد الصعوبة يقال : دابة ذلول بينة الذل ويقال ركب فلان ذِلَّ الطريق أي محجته المستقيمة التي قد وطئها الناسُ..

الإَظْلال والإَضْلال والإَذْلال : الاظلال بالضاء جمع الظِّل فإذا كُسرت الهمزة فهو مصدر أظَلَّهُ الأمرُ إذا غشيه ومصدر أظللتَ الشيءَ إذا سترته وأما الأَظْلاَلُ بالضاء وفتح الهمزة فجمع ظَلَلٍ وهو الماءُ الجاري تحت الحجارة لا تصيبه الشمس قال الشاعر :

نشاص الثريا بماء ضَلَلْ[22]

والإِضْلال أيضا جمعُ ضِلٍّ وهو الداهية وقد ذكرناه في الباب المتقدم فإذا كسرت الهمزة فهو مصدر أضللتَـهُ إذا حيرته حتى يخطيء طريق الاستقامة في دين أو غيره ويقال : أُمور الله جاريةٌ على أذلالها بالذال أي على مجاريها وطرقها المعتادة، لاراد لها ولا عاصِم منها قالت الخنساء :

---

21) النابغة الذبياني : ديوان النابغة الذبياني / صنعة ابن السكيت ـ تحقيق د.شكري فيصل ص 121 / دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان.

22) لم أستطع الوقوف على اسم الشاعر ولا على تمام البيت.

لتجر المنيـــة بعـــد الفتـــى المغـــادَر بـــالمحـــو أذلالهـــــا[23]

(2) ـ الضاد والذال باتفاق اللفظ والمعنى : نبض العِرقُ فهو نـابض ونبذ فهو نابذ لا أعرف غيره».

(3) ـ في آخر الكتاب ومن باب ما يكتب بـالسين مما لا نظير لـه في الصاد الذي يبدأ من الورقة 68 / و إلى نهاية الكتاب :

«والسمو آل اسم رجل والسلسبيل عين بالجنة».

وبعـد فهـذه بطـاقـة تعريف متـواضعـة لكتـاب الفرق بين الحروف المشكِلة لابن السِّيد البَطَلْيَوْسِي ولنسختـه الخطيـة النفيســة الموجودة بخزانـة ابن يوسف بمراكش نقدمها للقارئ في انتظـار طبع هـذا الكتـاب وتـداولـه بين الناس...

محمد عز الدين المعيار الإدريسي

23) الخنساء : ديوان شرح الخنساء ص 124 / منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.